



الصدق مع الله - ثلاث قصص من غزوة خيبر

المقالات

محاضرة في الأردن

2021-02-01

عمان

الأردن

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِیْنَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی آلِهِ وَاصْحَابِهِ أَجْمَعِیْنَ، اللّٰهُمَّ عَلِّمْنَا مَا نَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا، وَأَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَأَرِنَا الْاِجْتِنَابَ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.
وبعد: أحبابنا الكرام: عنوان لقائنا اليوم ثلاث قصصٍ مِنْ غزوة خيبر يجمعها رابطٌ سأتركه لآخر اللقاء، اخترت هذه القصص الثلاث لأن بينها رابطاً يجمعها.

القصة الأولى:

{ جاء رجلٌ من الأعرابِ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، فقال: أَهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ، عَنِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَنَسِمَهُ، وَقَسَمَ لِلأَعْرَابِيِّ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَهُ لَهُ، وَكَانَ يَرعى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَعْوُهُ إِلَيْهِ، فقال: مَا هَذَا؟ قالوا: فَسِمَ قَسَمَهُ لَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: "فَسِمَ قَسَمْتُهُ لَكَ"، قال: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنْ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أَرْمَى هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى خَلْفِهِ - بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ، فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فقال: "إِنْ تَصَدَّقَ اللهُ بِصَدُقِكَ"، ثُمَّ نَهَضَ إِلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ إِلَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُقْتَوْلٌ، فقال: "أَهُوَ هُوَ؟" قالوا: نَعَمْ، قال: "صَدَقَ اللهُ فَصَدَقَهُ"، فَكَفَّفَهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُثَّتِهِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ لَهُ: "اللّٰهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ

مَهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، قُتِلَ شَهِيدًا، وَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ" }

(أخرجه النسائي بسند صحيح)

(فَقَسَمَهُ) قسم الغنائم بين أصحابه، (وَقَسَمَ لَهُ) جعل له قسماً، هو غير موجود لكن جعل له قسماً مع أصحابه، (فَلَمَّا جَاءَ الرَّجُلُ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ) أعطوه حصته، (مَا عَلَى هَذَا أَتَّبِعُكَ) أنا ما أتبعك من أجل أن تأتيني الغنائم، (وَلَكَيْتِي أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَذَا-وَإِشَارَ إِلَى خَلْفِهِ-بِسْتِهِمْ، فَأَمُوتَ، فَادْخُلِ الْجَنَّةَ) أتبعك على العمل وليس على الغنيمة.

قانون الصدق مع الله:

هذه القصة الأولى، الذي أريده منها شبان، الشيء الأول: (إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصُدِّقْكَ).

بمفهوم حياتي إذا قال لك إنسان: لا أستطيع الإستيقاظ لصلاة الفجر، قل له: (إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصُدِّقْكَ)، وإذا قال لك إنسان: لا أستطيع أن أستقيم في هذا الزمن الصعب وكل شيء يدعو إلى الفتنه، قل له: (إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصُدِّقْكَ) هذا قانون يشبه قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصَدَّقُوا اللَّهَ تَصَدَّقْكُمْ وَيَبْتَئْتْ أَقْدَامَكُمْ (7)

(سورة محمد)



تقديم المُقَدِّمَاتِ وأخذ النتائج

تُقدِّمُ المُقَدِّمَاتِ فتأخذ النتائج، ومن الجهل بمكان أن يظن إنسان أنه يستطيع أن يأخذ النتائج دون مُقَدِّمَاتِ، إن تدرس تنجح، إن تتاجر وتبذل جهوداً تريح، القضية قضية مُقَدِّمَاتِ ونتائج، في الحياة قد تأتي المُقَدِّمَاتِ ولا تأتي النتائج لحكميَ يعلمها الله لكنها حالات نادرة، يمكن أن يجتهد الإنسان كثيراً في التجارة ولا يُوفِّق في تجارته، لكن مع الله عز وجل القوانين لا يمكن أن تتخلف، المُقَدِّمَاتِ تؤدي إلى نتائج، الطاعة تؤدي إلى السكنية في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة إن شاء الله، والمعصية تؤدي إلى انقراض في الدنيا وإن لم يتب الإنسان وعصى ونسى المُبتدئ والمُنتهى والعباد بالله ولم يعبأ بأخروهم وبنى مجده على أنقاض الناس تؤدي به إلى النار.

المُقَدِّمَاتِ والنتائج في الإسلام ليست عبارة عن شيءٍ وضعي؛ هذا قانون إلهي، بعبارة أخرى العلاقة بين المقدمة والنتيجة علاقة علمية، في حياتنا يوجد علاقة وضعيه وعلاقة علمية، العلاقة الوضعية؛ يمكن أن أقول لك: لا تخرج من هنا، بل اخرج من هنا، لماذا؟ المكان يُخرج به من هنا ومن هنا، أما العلميه؛ إذا كان هناك مدفأة تشتعل؛ إذا وضع إنسان يديه عليها هل من الممكن ألا تحترق؟ ستحترق، العلاقة علمية، في الإسلام وفي القرآن العلاقات بين المُقَدِّمَاتِ والنتائج علاقة علمية وليست عشوائية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)

(سورة طه)

بالمقابل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

(سورة النحل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)

(سورة الطلاق)



قانون الخالق قانونٌ مطلق

هذه علاقاتٌ لن تتخلف لأنها من قِبَلِ الخالق، والخالق إذا وضع قانوناً فقانونه مطلق، أما البشر فإنهم يصنعون قوانينٍ نسبيةً قد تنفذ بنسبة 90% في أحسن أحوالها لكن لا بد من بعض المخالفات، أما عند ربنا عزَّ وجلَّ فهذا قانون، هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع قانوناً قال: **(إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِصَدَقَتِكَ)** اطلب بصدقٍ الله عزَّ وجلَّ ما طلبته بصدق، اطلب الجنة بصدقٍ تنلها إن شاء الله، اطلب الإطاعة بصدقٍ يُعينك الله عليها، اطلب الرزق الحلال بصدقٍ يُيسره الله لك، اطلب الزواج بصدقٍ اطلب الحلال، لا أريد إلا الحلال يارب، أغض بصري عن الحرام، أصبر قليلاً، يُبئله الله تعالى الزواج الحلال، **(إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِصَدَقَتِكَ)** هذه العلاقة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم. هذا الرجل ما جاء يريد غنيمَةً من الواضح أنه كان صادقاً، حمل الغنيمة بعد أن وصلت إليه ووضعها بين يدي النبي، يا رسول الله ما جئت لهذا، أنا أسلمت أريد الجنة، أريد الشهادة، هذا الذي أسلمت من أجله، فطلبها بصدق، النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِصَدَقَتِكَ)** وضع له القانون، فلما جاء به يُحمل وقد استشهد في سبيل الله ونال أقصى غاية مناه، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه **(صَدَقَ اللَّهُ قَصْدَقَهُ)** باختصار.

النبي صلى الله عليه وسلم شهيدٌ علينا

الأمر الثاني: لما دعا له النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(فَبَلِّغْ شَهِيدًا وَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ)** هل نستشعر هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم شهيدٌ علينا؟

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُقْرَأُ؟ قَالَ: "إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ عِبْرِي" فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إِلَى هَذِهِ آيَةِ: **{ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا }** -[النساء: 41]- قَالَ: "حَسْبُكَ الْآنَ" فَالْتَقَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْتَاهُ تَدْرِقَانِ {

(متفقٌ عليه)

(يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟) أجزل أن أقرأ بين يديك وهو وحدي لك **(إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ عِبْرِي)** وهذه لفظة إلى أن الإنسان أحياناً يقرأ القرآن ويُسر، أحياناً يُحب أن يسمع القرآن بصوت غيره، وهذه متعة أخرى غير متعة القراءة.



شهادة النبي الكريم على أمته يوم القيامة

النبي صلى الله عليه وسلم عندما سمع أنه سيأتي شهيداً على أمته بكى، فنحن يجب أن نستشعر هذا المعنى، يوم القيامة سيشهد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحن أمته، ونحن أمة التبليغ ونسأل الله أن نكون من أمة الاستجابة أيضاً، أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمّتان: أمة التبليغ، وأمة الاستجابة، كل من بلغته رسالة الإسلام فهو من أمة التبليغ، بلّغ، لكن أمة الاستجابة أعظم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172)

(سورة آل عمران)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُخْشَرُونَ (24)

(سورة الأنفال)

فنحن إن شاء الله من أمة الاستجابة، وسيشهد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فقال: **(وَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ)**، هذه القصة الأولى.

القصة الثانية:

{ جَاءَ عَبْدُ أَسْوَدَ حَبَشِيٍّ مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ كَانَ فِي عَتَمٍ لِسَيِّدِهِ فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ خَيْبَرَ قَدِ اخْتَدَوْا السَّلَاحَ سَأَلَهُمْ مَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُقَاتِلُ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ ذِكْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ يَعْتَمِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَاذَا تَقُولُ؟ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ؟ قَالَ: أَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ وَأَنْ لَا تَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، قَالَ الْعَبْدُ: فَمَا لِي إِنْ شَهِدْتُ وَأَمْنْتُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: لَكَ الْجَنَّةُ إِنْ مِتَّ عَلَى ذَلِكَ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْعَتَمَ عِنْدِي أَمَاتَتْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْرِجْهَا مِنْ عِنْدِكَ وَارْمِهَا بِالْحَصْبَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَاتَكَ، فَفَعَلَ فَرَجَعَتْ الْعَتَمُ إِلَى سَيِّدِهَا فَعَلِمَ الْيَهُودِيُّ أَنَّ عَلَامَةَ قَدِ اسْلَمَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَوَعظَهُمْ وَحَصَّهْمُ عَلَى الْجِهَادِ، فَلَمَّا انْتَهَى الْمُسْلِمُونَ وَالْيَهُودُ قِيلَ فِيمَنْ قِيلَ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ قَاتَمَلَهُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مُعَسَكِرِهِمْ فَأُذِجِلَ فِي الْفُسْطَاطِ، ثُمَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْلَعَ فِي الْفُسْطَاطِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ هَذَا

الْعَبْدَ وَسَاقَهُ إِلَى خَيْرٍ وَلَقَدْ رَأَيْتَ عِنْدَ رَأْسِهِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ وَلَمْ يُصَلِّ لِيهِ سَجْدَةً قَطُّ {

(أخرجه الحاكم)

(نَعَانِلُ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بَرَّعَهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم، (فَوَقَّعَ فِي نَفْسِهِ ذِكْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا كان إنساناً يريد الحق، يصدق في الحق، الله عز وجل يبلغه إياه من حيث لا يحتسب، هم يقولون: (بَرَّعَهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ) أما هو (وَقَّعَ فِي قَلْبِهِ ذِكْرَ النَّبِيِّ) أثرت الكلمة فيه، (فَوَقَّعَ فِي نَفْسِهِ ذِكْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا أراد ربنا عز وجل أن يوصلك إلى شيء يوصلك بطريق لا تخطر لك على بال، هؤلاء أعداء له، هؤلاء قالوا: (بَرَّعَهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ) يستهزؤون، ربنا عز وجل من خلال استهزائهم أوصل الرسالة إلى هذا الرجل، (فَأَقْبَلَ بَعْتَمِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أخذ الغتم إلي النبي صلى الله عليه وسلم، (فَقَالَ: مَاذَا تَقُولُونَ؟ وَمَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ؟) هكذا باختصار، ما عندك؟ (ادْعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ تَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ) التوحيد، (فَقَالَ الْعَبْدُ) هو عبد عند سيده، (فَمَا لِي إِنْ شَهِدْتُ وَأَمُنْتُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟) أريد النتيجة، (يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْعَتَمَ عِنْدِي أَمَاتَهُ) انظر إلى أمانة الرجل، لم يقل: أنا أسلمت وأنا فترت بديني فلندبح الغنم ولناكلها وانتهت القصة، (أَخْرَجَهَا مِنْ عُنُقِكَ وَأَزْمَمَهَا بِالْحَضَنَاءِ) في الصحراء، في منطقة قريبة من خيبر، (فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي عَنكَ أَمَاتَكَ) هذه معجزة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، دعها وهي تذهب وحدها، لأنه إذا رجع لن يسمح له سيده بالعودة، (فَفَعَلَ فَرَجَعَتْ الْعَتَمُ إِلَى سَبِيحِهَا فَعَلِمَ الْيَهُودِيُّ أَنَّ عَلَامَةَ قَدْ أُسْلِمَ) رجعت الغنم ولم يرجع الغلام، (فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَوَعظَهُمْ وَحَبَّبَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ) كان النبي صلى الله عليه وسلم خارجاً لخيبر، (فَلَمَّا تَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْيَهُودُ قُبُلَ فِيمَنْ قُبُلَ الْعَبْدِ الْأَسْوَدِ) هذا الذي أسلم قبل ساعات، (فَأَذْجَلَ فِي الْفُسْطَاطِ) في الخيمة، (لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ هَذَا الْعَبْدَ وَسَاقَهُ إِلَى خَيْرٍ) أراد الله به خيراً لأن عنده رغبة في الخير، (وَلَقَدْ رَأَيْتَ عِنْدَ رَأْسِهِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ وَلَمْ يُصَلِّ لِيهِ سَجْدَةً قَطُّ) ما أدركته صلاة حتى.. أسلم، وخرج، واستشهد، ودخل الجنة، هذا تسميه بالعرف الحديث: حرق مراحل، هو حرق المراحل كلها ووصل إلى الشهادة مباشرة، ولكن بصدق، الصدق العالي.

صدق النبوة مع الله:

بدأنا نستشعر ما العنوان الذي نتكلم عنه، العنوان هو الصدق مع الله، وليس الصدق بمعناه الحرفي أن يأتي الكلام مطابقاً للواقع أو أن يأتي الفعل مطابقاً للكلام، هذا الصدق المعروف، لكن نقصد الصدق مع الله، صدق النوايا، بمعنى أن تكون النبوة بصدق، أريد أن أفعل ذلك، أنوي أن أفعل الخير، أنو الخير، قالوا: أعجز الناس من يعجز أن ينوي نيّة صادقة، الإنسان بالنية الصادقة يأخذ الأجر وإن لم يقع منه الفعل، وهذا من كرم الله، ألم يأت في الحديث الصحيح:

{ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، يُتْلَعُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ آتَى فِرَاسَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَعَلَبْتُهُ عَيْنَاهُ

حَتَّى أَصْبَحَ كُنَيْتَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ تَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ " }

(أخرجه النسائي)

قد ينوي الإنسان فعل خير محدد ثم لا يستطيعه، قد لا يملك إنساناً فقيراً مالاً لكن نيته فيما لو رزقه الله أن يُنفق ويصدق فيأخذ أجر النبوة، وقد قيل:

{ نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَنِيَّةُ الْكَافِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ }

(ورد في الأثر)



نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ

نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ لأنه دائماً ينوي الأكثر لكن يستطيع الإمكانات، نحن عندنا إمكانيّة وعندنا نية، ربما يكون نية هداية الخلق فيهدي الله به رجلاً واحداً، ربما يكون نية خدمة ألف فقير لكن إمكانيته أن يخدم مئة عائلة فقيرة فقط، نية أعلى من عمله لكن ما يستطيعه بقدّمه، فنية المؤمن خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، بينما نية الكافر والعباد بالله شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ: هو يقضي مثلاً سنوات في الحكم ويُدبّر ويقتل ويُشرد كما يفعل بعض الطغاة نسأل الله السلامة لكن هو يكون في نيته أن يفعل أكثر لكنه لا يستطيع إلى أن يفعل ذلك، يُحَاسِبُ عَلَى نِيَّتِهِ الشريفة والعباد بالله، نية شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ، أما المؤمن فنِيَّتُهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ.

فأحبابنا الكرام؛ هذا الرجل العبد يرعى غنم سيده، دُكر إلى قيام الساعة ونحن اليوم بعد ألف وأربعمئة سنة نذكر هذا العبد ونقول: رحمة الله عليه وغفرانه فقط لأنه صدق مع الله، في لحظة صدق؛ أريد أن أسمع من هذا الرجل، ذهب، سمع، أسلم، واستشهد، بين إسلامه واستشهاده ساعات لكنه بلغ الجنة، فالقضية هي قضية صدقٍ أكثر من قضية أعمال، أنا لا أقلل من شأن الأعمال، نحن جميعاً إذا حان وقت الظهر ولم نُصل هذا شيء سيء طبعاً وغير شرعي.

سيدنا عمر كان يقول: **ما سبَّكم أبو بكرٍ بكثرِ صومٍ ولا صلاةٍ، ولكنَّ بسبِّهٍ وقتَر في قلبه.**

صدق النبى مع الله، ثبته عالية، صدقه عالٍ، لكن ليس الموضوع كثرة صلاةٍ وصيامٍ ولا ثقل من شأن الصلاة والصيام لكن الموضوع موضوع نبيٍّ طيبٍ صادقٍ مع الله، يريد رضا الرحمن فالله تعالى يعطيه على نيته.

هذا العبد إذا ساقه الله إلى الخير وغفر له وأدخله الجنة باستشهاده في سبيل الله.

القصة الثالثة:

{ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَشِيرِهِ وَمَالَ الْأَخْرُونَ إِلَى عَشِيرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ سَادَةً وَلَا قَادَةَ إِلَّا اتَّبَعَهَا يَصْرِفُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْرًا مِنَّا الْيَوْمَ أَخَذَ كَمَا أَجْرًا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجَرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتُ، فَوَضَعَ تَصَلَّ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَدُبَابُهُ بَيْنَ تَدْيِينِهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ أَيْبَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْطَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ ثُمَّ جَرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتُ فَوَضَعَ تَصَلَّ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَدُبَابُهُ بَيْنَ تَدْيِينِهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْذُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْذُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ }

(رواه البخاري)



نحن البشر لا يجوز أن نحكم على أحد

(رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ سَادَةً وَلَا قَادَةَ) لا يدعُ أحدًا من المشركين سواءً كان وحيداً أو مع جماعة، لا يدعُ مجموعة ولا فرداً من شدة بأسه في القتال، (مَا أَجْرًا مِنَّا الْيَوْمَ أَخَذَ كَمَا أَجْرًا فُلَانٌ) لم يتلَّ أحدٌ من العدو كما نال فلان، كان أشجع رجل، (فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ) يريد أن يفهم ما الذي يحدث لأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وحى، نحن معاذ الله أن نقول: فلانٌ من أهل النار، نحن البشر لا يجوز أن نحكم على أحد، نقول: من قال كذا فقد كفر، من قال كذا، لكن لا نقول: فلانٌ والعياذ بالله كافراً من أهل النار، نحن لا نكفرُ أحداً بالتعيين ولا نحكم على أحدٍ بأنه من أهل النار هذا ليس من شأن البشر هذا شأن الخالق جلَّ جلاله، معاذ الله، لكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بوحي من الله يريد أن يُعلم أصحابه شيئاً يبقى إلى قيام الساعة، يحكم بحكم الله، بما أوحى إليه الله، (فَوَضَعَ تَصَلَّ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَدُبَابُهُ) رأس السيف، (ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ) انتحر، (فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ) من الذي أنبأه بأمر الرجل إلا الله، قَالَ: (قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ أَيْبَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْطَمَ النَّاسُ ذَلِكَ) شيءٌ عظمٌ عليهم جداً أن يكون رجلٌ يظهرُ بهذه الشجاعة وهو على غير ذلك، (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْذُو لِلنَّاسِ) على الشكبية الناس يرونه من أهل الجنة وهو من أهل النار.

الصدق مع الله يقتضي أن تكون أعمالنا خالصةً لوجه الله تعالى:

هذه القصة بعكس القصتين السابقتين، الفصص الثلاثة في غزوة خيبر، هذا الرجل طهر للناس أنه مقاتلٌ وشجاعٌ لكن كان يُقاتل ليقول للناس: فلانٌ شجاعٌ، رباً، سمعته، لكن هو لما جرح انتحر فقتل نفسه، لم يصدق مع الله، أفعاله ما كانت نابعةً عن صدق نية، كانت نابعةً عن اعتزازٍ بالعروبة، وأيام الجاهلية: فلانٌ شجاعٌ من أشجع الناس ويقولون عنه: كذا وكذا وكذا، وقد جاء في الصحيح: أن الله عزَّ وجلَّ يأتي يوم القيامة بالفارئ والمُنطق والمُجاهد:

{ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثُرَ الْمَالُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِي: أَلَمْ أَعْلَمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بلى يا رب، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُثِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ لَهُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يَقَالَ فُلَانٌ قَارِئُ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَبُوِّتِيَ بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَمْ أَوْسِعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بلى يا رب، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ، قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يَقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَبُوِّتِيَ بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يَقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتَيْ فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَوْلَيْكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }

(صحيح الترمذي)

فياخذ أجره في الدنيا، أنت طلبت الدنيا فأخذتها، لكن الصدق مع الله عز وجل يكون بأن يطلب الإنسان رضا الله عز وجل وحده، لا يُصَلِّي رِبَاءً وَلَا سَمْعَةً، لَا يَجَاهِدُ رِبَاءً وَلَا سَمْعَةً، لَا يُعْطِي رِبَاءً وَلَا سَمْعَةً، وَإِنَّمَا يَتَصَدَّقُ بِالصَّدَقَةِ فَيُخْفِيهَا فَلَا تَعْلَمُ شِمَالَهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ، عِنْدَمَا نَخْتَبِرُ إِيمَانَنَا وَصِدْقَنَا مَعَ اللَّهِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ بَأَنَّ تَكُونَ أَعْمَالُنَا خَالِصَةً لَوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ فَتَكُونُ فِي صِدْقٍ مَعَ اللَّهِ.

القصة صادمة لكنها مهمة جداً لأنه يجب أن نعرف الخير وأن نعرف الشر.

{ يَقُولُ حُدَيْقَةُ بْنُ الْيَمَانِ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي }

(صحيح البخاري)

وقد قال الشاعر:

فأحياناً معرفة الشر مهمة من أجل ألا نقع فيه.

علامتان لتحريр النية:



تحرير النية علامات كثيرة

القصة صادمة وهي حالة خاصة جداً لكن يجب أن ينتبه الإنسان حتى تُحرر النوايا، كلنا إن شاء الله نوايانا طيبة وكلنا ننوي بأعمالنا وجه الله تعالى، لكن أحياناً الإنسان تشوب نية بعض الشائبة فينبغي دائماً أن يُحرر النية، أن يختبر نفسه، ولتحرير النية علامات كثيرة لكن عندي علامتان واضحتان:

العلامة الأولى: هي القيام ببعض الطاعات في السر، إذا صام الإنسان نفلًا ولم يُخبر أحداً، أو أنفق نفقةً بينه وبين الله لا يعلم بها أحد، طبعاً هناك بعض النفقات من المؤكد أن الناس سيعلمون بها، مثلاً تكون صدقات تعاونية، جمعيات، إلخ.. لكن يجعل لنفسه صدقة لا يدري بها أحد، فإذا كان يجد نفسه مرتاحاً إذاً العمل لله، هذا اختبار.

العلامة الثانية: أحياناً الإنسان إذا مدحه الناس يزيد في البرّ والطاعة والنفقة، فإذا ذمّه الناس أعرض، فهنا يوجد إشكالٌ وكأن بعض عمله لا أقول كلَّ عمله وكان بعض عمله يُراقب فيه الناس، أما المؤمن والمُخلص حقاً والذي نواياه لله مئة بالمئة فلا يُنقص اليُزر عند الذمّ ولا يزيد عند المدح، هو يزيد عند قدرته وإمكانه إرضاءً لله، لكن لا يؤثّر به كلام الناس دقاً ولا مدحاً لأن العمل لوجه الله.

وأنا لاحظت بعض الحالات يرونها لي بعض الإخوة الكرام المحسنين أسأل الله أن يُجزهم خير الجزاء: أنهم أحياناً يتأذون، ينفقون نفقةً فيتأذون إما من المُنفق عليه أو من أناسٍ حولهم، فيختبر نفسه بأنه يُواطب على الصدقة.

وهذا له دليل: لما تكلم مسطح بن أثاثة في عرض السيدة عائشة الطاهرة المطهرة أمانة عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما تكلم في عرضها بعض المنافقين وكان من بينهم مسطح بن أثاثة، كان مسطح ينفق عليه أبو بكر، يعطيه كل شهر مصروفه، فلما تكلم في عرض عائشة فقد تكلم في عرض ابنته، هذا ليس إيذاءً بسيطاً، إيذاءً عظيم، فأوقف النفقة، وهو أبو بكر الصديق، ما استطاع أن يتحمل، وربما لو لم يكن أبا بكر لما عوتب في ذلك، لكن أبو بكر تحديداً لا، فأنزل الله تعالى بعد آيات براءة عائشة رضي الله عنها قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُو الْفُضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْيُ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَا الْغُرَبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا
تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (22)

(سورة النور)

(وَلَا يَأْتِلْ) هو أقسم يميناً ألا يعطيه بعد ذلك شيئاً، (وَلَا يَأْتِلْ): أي ولا يحلف، ثم قال: (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) فقام أبو بكر وبكى فقال: بلى أحب أن يغفر الله لي، فأعاد النفقة إلى ما كانت، لأن النفقة لله، الإيذاء الذي صدر منه هو يحاسب عنه إن لم يثنأ أما النفقة كانت لله ومازالت لله لم يتغير شيء، فهذا أيضاً من اختبار النوايا.

ملخص وخاتمة:

أحبنا الكرام: ملخص هذه القصص الثلاثة أننا ينبغي أن نحرر النوايا وأن نصدق مع الله في الطلب والله عز وجل حاشاه أن يصدق إنسان في طلبه ثم لا يعطيه، وأعظم الصدق مع الله أن تصدق في طلب الجنة فنبذل لها أسبابها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، عبادةً وطاعةً وإنفاقاً ومحبةً وخيراً، فإذا صدقنا الله في طلب الجنة نألهما إن شاء الله برحمته وفضله وجوده وإحسانه.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ